رسائل إلى العروسين

تأليف

إسلام محمود دربالة

الناشر
دار الآفاق
للنشر والتوزيع
www.afaak.net

مقدمة

فهذه كلمات قليلة، وهمسات رقيقة، ووصايا تخيرتها من كتاب ربنا سبحانه، ومن سنة نبينا صلى ا عليه وسـلم أقـدمها إلـى كـل عروسين مقبلين على تأسيس بيت إسلامي خاضع لأمر ا ، مبتـغ لرضوانه، يحرص على اتباع سنة رسول ا صلى ا عليه وسلم، فإن سبيل السعادة الحقيقية هو السير إلـى رضـوان ا وتحقيـق منهجه، وتحكيم شريعته في كل صغيرةٍ وكبيرة وهذا هو مقتضـى العبودية لجبار السموات والأرض جل وعلا.

{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:162].

يأمر ا عز وجل في هذه الآية الكريمة نبيه صلى ا عليه وسلم أن يعلن للبشرية جمعاء أن حياته كلها، وما يأتي فيها من الأعمال وما يذر، وكل عبادة يفعلها، إنما يجب أن يصرف ذلك كله رب العالمين، وكذلك يجب أن يكون حال أتباع نبينا صلى ا عليه وسلم فحياتهم يجب أن تكون كلها ؛ فالفرد المسلم إن تعلم فهو يتعلم ليخدم دين ا ، وإن جمع المال فلينفقه في سبيل ا ، وإن تبوأ أعلى المناصب فلينفع إخوانه الموحدين، وليستخدم هذه السلطة في نشر دين ا وتطبيقه، وإذا تزوج فلإرضاء ا وإذا أنجب الأبناء فليكون أسرة مسلمة يحكمها شرع ا ويُتوجها، وهي من ثم تجتهد في تطبيق شريعته، ونشرها، والدعوة إلى دين ا . فالمسلم –في جميع أعماله، وفي كل سكناته وحركاته- همه وهدفه هو مرضاة ا . ولكن على المسلم الحق أن يحذر من مخططات أعدائه، ويتنبه إلى مايراد به؛ حتى لا يتأثر بتلك المخططات الخبيثة التي تحاك ضده، وضد دينه وعقيدته ومن ذلك ما قاله أحد أعداء دين ا يوصي نظراءه من أعداء دين ا كيف يفسدون العبد المسلم، وكيف يقودونه إلى عالم التيه والضياع.

يقول هذا الرجل المدعو "صموئيل زويمر"[1]: ((إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له با ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، إننا نريد المسلم إنسانًا لا يهتم بعظائم الأمور؛ يحب الراحة والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب حتى تصبح الشهوات هدفه في الحياة، فهو إن تعلم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات، إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات))اهـ.

أخي الموحد هذا ما يراد بك وبأمتك المسلمة، فماذا فعلت لدينك، وماذا قدمت لرد طعون وهجمات أعدائك .... أخي أختي فلنعلنها صريحة.

{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:162].

{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [آل عمران: 31].

([1]) هو رئيس جمعيات التنصير العالمية، وكلامه الذي سننقله قاله في أحد المؤتمرات التنصيرية. انظر حقيقة التبشير – أحمد عبد الوهاب ص(161)

كثير من الناس أولئك الذين يزعمون محبة ا ، وأنهم يحبونه، ويحبون شرعه ودينه، ولكن عند الاختبار الفعلي وعند المواقف الحرجة، يتراجع الكثير عن الالتزام بشرع ا وبسنة رسول ا صلى ا عليه وسلم، يتراجعون ... نعم يتراجعون... لا يصمدون أمام العادات .... أمام التقاليد ... أمام الشهوات .... بل هناك من يزعم محبة ا ومحبة رسوله، وهو مضاد لشرع ا ، مخالف لسنة رسول ا ، فأين المحبة يرحمك ا ؟!!

قال الحسن البصري وغيره من السلف:

((زعم قومٌ أنهم يحبون ا ؛ فابتلاهم ا بهذه الآية فقال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبونَ اللهَ فَاتِبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ} [آل عمران: 31]))[2].

قال ابن كثير: "هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة ا وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي، في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه قال: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))[3]؛ ولهذا قال: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبونَ اللهَ فَاتِبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [آل عمران: 31].

أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم؛ وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن

(2) تفسير ابن كثير (1-338)

(3) رواه البخاري (2697)، ومسلم (1718) وغيرهما وهذا لفظ مسلم.

أن تحب، إنما الشأن أن تُحَب))[4] وقال الشيخ السعدي: ((هذه الآية هي الميزان التي يعرف بها من أحب ا حقيقة ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة ا اتباع محمد صلى ا عليه وسلم، الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه طريقًا إلى محبته ورضوانه، فلا تنال محبة ا ورضوانه وثوابه إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما))[5].

فإذا كنت يا أخي الكريم ويا أختي الكريمة ممن يحبون ا ، ويرغبون في أن يحبهم ا فعليك ((بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما)).

ولنمتثل لشرع ا ولنعمل به في كل صغيرة وكبيرة، حتى في أفراحنا؟! نعم حتى في أفراحنا.

ولتكن أفراحنا... نعم أفراحنا ..... هي أول خطوة في طريق امتثالنا لشرع ا ، وسنة نبيه صلى ا عليه وسلم، فإسلامنا كل لا يتجزأ، يتخلل بمحتواه الراشد كل جزئية من جزئيات حياتنا، لا يعرف معنى لتجزئته في ترح دون فرح، فا ذم الأمم التي تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض، ولسنا من هؤلاء لأنا أمة دينها منهج حياة، ومهد طريق يوصلها إلى جنات ا سبحانه وتعالى.

([4]) تفسير ابن كثير (338/1).

([5]) تفسير الكريم الرحمن (374/1).

{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِـدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65].

تقدم معنا أن حياة المسلم كلها خضوعٌ عز وجل، وهو متبع لسنة رسوله صلى ا عليه وسلم في كل شئون حياته، لكن مـا موقـف المسلم إذا عرضت له مشكلة في حياته؛ في أي جزء منهـا: فـي معاملاته الشخصية، في معاملاته المالية، في معاملاته الاقتصادية، في معاملاته السياسية، في زواجه، في كل صغيرة وكبيـرة مـن أمور حياته؟ إلى من يكون التحاكم؟

إن الرجوع إلى منهج رشيد وركن شديد نأوي إليه حين تنزل علينا ملمات الحياة فتحيلنا إلى حالة من عدم الاتزان هو الغاية، وأقصى أوقات عدم الاتزان هو حين تواجهنا مشكلة والسؤال الآن: إلى من نتحاكم حين تواجهنا مشكلة؟

في هذه الآية الكريمة التي صدرنا بها هذا المبحث، يقـول الشـيخ عبد الرحمن السعدي: ((يقسم ا تعالى بنفسه الكريمة أن العبـاد لا يكونون مؤمنين حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم؛ أي في كـل شيء يحصل فيها اختلاف. ثم لا يكفي هذا التحكيم حتـى ينتفـي الحرج من قلوبهم والضيق ...... ثم لا يكفي هذا التحكـيم حتـى يسلموا لحكمه تسليمًا بانشراح صدر، وطمأنينـة نفـس، وانقيـادٍ بالظاهر والباطن. فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، فمتى استكمل هـذه المراتـب وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها.

ومن ترك هذا التحكيم المذكور، غير ملتزم له، فهو كافر.

ومن تركه – مع التزامه – فله حكم أمثاله من العاصين))[6].

"اظفر بذات الدين"

هذا جزءٌ من حديثٍ نبوي "شريف، أرشد فيه نبينا صلى ا عليه وسلم شباب المسلمين إلى الميزات التي يجب أن تتوفر في شريكة العمر وزوجة المستقبل، فقال صلى ا عليه وسلم: ((تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك))[7]، فقد بين صلى ا عليه وسلم الأسباب التي ترغب في النكاح، ثم أرشد إلى خير تلك الخصال والأسباب فقال: ((فاظفر بذات الدين)) ((فعادة الناس أن يرغبوا في النساء ويختاروهن لإحدى أربع خصال – عدها صلى ا عليه وسلم – واللائق بذوي المروءات وأرباب الديانات أن يكون الدين مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون لا سيما فيما يدوم أمره، ويعظم خطره؛ فلذلك حث المصطفى صلى ا عليه وسلم بآكد وجهٍ وأبلغه، فأمر بالظفر بذات الدين، الذي هو غاية البُغية ومنتهى الاختيار والطلب[8]، وقوله

([6]) تيسير الكريم الرحمن (93/2-94).

([7]) رواه البخاري (9/7)، ومسلم (175/4)، وأبو داود (2047)، والنسائي (68/6)، وابن ماجه (1858).

([8]) فيض القدير للمناوي (357/3)

صلى ا عليه وسلم: ((تربت يداك)) أي افتقرتا أو التصقتا بالتراب من شدة الفقر إن لم تفعل وتطلب ذات الدين.

وأصل هذه اللفظة دعاء، ولكنه قد يستعمل لمعان أخرى كالمعاتبة، والإنكار، والتعجب، وتعظيم الأمر والحث على الشيء[9].

فلتبحث أخي الكريم عن ذات الدين، ولا تغتر وتنبهر بأهل التبرج والسفور، فإن الدين هو الذي يردع المرأة عن أن تسيء إليك، وهو الذي يأمرها بإحسان معاشرتك فاظفر بذات الدين تنل سعادة الدارين.

((إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه))

هذا جزءٌ من حديثٍ نبوي كريم يخاطب فيه النبي صلى ا عليه وسلم أولياء النساء بقوله: ((إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض))[10].

([9]) انظر المصدر السابق.

([10]) أخرجه الترمذي (1085) من حديث أبي حاتم المزني وقال: ((هذا حديث حسن غريب)) قلت: وله شاهد من حديث أبي هريرة -رضي ا عنه- أخرجه الترمذي (1084)، وابن ماجه، والحاكم في المستدرك.

في هذا الحديث توجيه نبوي كريم لأولياء النساء بأن يراعوا في اختيارهم لأزواج مولياتهم ديانة الخاطب، ولا ينظروا إلى غير ذلك من المرغبات من الأموال والمنصب والجاه.

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير)) أي خروج عن حال الاستقامة النافعة المعينة على العفاف، فإن الحديث مرشد الأولياء مخاطبًا لهم: بأنكم إن لم ترغبوا في الخلق الحسن، والدين المرضي الموجبين للصلاح والاستقامة، ورغبتهم في مجرد المال الجالب للطغيان الجار للبغي والفساد تكن فتنة....))[11].

رفقًا بالشباب

يحلوا لكثيرٍ من أولياء أمور النساء التعنت في تكاليف الزواج، والمشقة على الشباب في إعداد الكماليات والمظاهر التي يتفاخرون بها بين الناس وهذا ليس من الشرع في شيء؛ فقد تقدم معنا أن المسلم في جميع تعاملاته خاضع للشرع، عامل به، وقد اشترط الشارع الحكيم لصحة عقد النكاح أن يكون هناك مهر مقدم من

([11]) فيض القدير – للمناوي (313/1).

الرجل للمرأة قال عز وجل: {وَآتُوا النسَاءَ صَدُقَاتِهِن نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} [النساء: 4].

وبالرغم من أن الشرع لم يحدد نهاية للمهور إلا أنه حبب للمسلمين الاقتصاد فيه ونهى عن المغالاة، وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من المسلمين على تعليم آيات من القرآن الكريم وذلك لما لم يكن عنده شيءٌ يصلح أن يكون مهرًا حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: ((التمس ولو خاتمًا من حديد)) فالتمس فلم يجد شيئًا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هل معك من القرآن شيء)) قال: نعم سورة كذا وسورة كذا لسور سماها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((زوجتكما بما معك من القرآن))[12] وقد قال عمر بن الخطاب: ((ألا لا تغالوا صدقة النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم، ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئًا من نسائه، ولا أنكح شيئًا من بناته، على أكثر من ثنتي عشرة أوقية))[13]. قال الترمذي: والأوقية عند أهل العلم: أربعون درهمًا، وثنتا عشرة أوقية أربعمائة وثمانون درهمًا.

([12]) أخرجه البخاري (246)، ومسلم (85)، والترمذي (1114).

([13])أ أخرجه الترمذي (1114)، وأبو داود (2106)، وابن ماجه (1887) وقال الترمذي: حسنٌ صحيح.

أفراحنا إسلامية

البعض يسمي ليلة الزفاف ليلة العمر، ولأجل هذه الليلة يضحي بكل رخيصٍ وغالٍ فيسمح لعروسه بالتبرج، ويقيم فرحه على أصـوات المعازف المحرمة، والأغاني الماجنة فأسألكم با هل هذا من محبة ا ورسوله أم من المخالفة والعصيان؟!!

قال ابن القيم – رحمه ا -: ((ومن مكائد عدو ا ومصائده التي كاد بها من قل نصيبه من العقل والعلم والدين، وصاد بهـا قلـوب الجاهلين والمبطلين، سماع المكاء والتصـدية، والغنـاء بـالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن ويجعلهـا عاكفـة علـى الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان والحجـاب الكثيـف عـن الرحمن))، ثم وصف أحوال مستمعي الغناء، ووُجدهم وتمايلهم عند سماعه إلى أن قال: ((فيا أيها الفاتن المفتون، والبائع حظه مـن ا بنصيبه من الشيطان، صفقة خاسرٍ مغبونٍ...هلا كانت هذه الأشجان عند سماع القرآن، وهذه الأذواق والمواجيد عنـد قـراءة القـرآن المجيد...... ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى مـا يشاكله))[14] وإليك الأدلة يا طالب الآخرة الباقيـة علـى تحـريم المعازف، وآلات اللهو المحرمة: قال ا عز وجل: {وَمِنَ النـاس

([14]) إغاثة اللهفان (لابن القيم).

مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ} [لقمان: 6]. كان ابن مسعود –رضي ا عنه- يقسم أن لهو الحديث هو الغناء.

وقال صلى ا عليه وسلم: ((ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف))[15].

وتأمل معي قوله صلى ا عليه وسلم: "يستحلون" أي أنهـا كانـت محرمة قبل ذلك فاستباحوها واستحلوها. فإياك أخي من عصـيان الملك الجبار، ولتكن أفراحنا وجميع أيامنا على سنن أهـل الهـدى الأخيار.

أخرج البخاري -في صحيحه- عن أم المؤمنين عائشة -رضي ا عنها: أنها زفت امرأة إلى رجلٍ من الأنصار، فقال نبي ا صـلى ا عليه وسلم: ((يا عائشة، ما كان معكم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو؟))[16].

وفي رواية: ((فهل بعثتم معها جارية تضرب بالـدف وتغنـي؟))

قلت: تقول ماذا؟

قال: تقول:

أتينـــــاكم أتينـــــاكم فحيانـــــا وحيـــــاكم
ولـــولا الـــذهب الأحمـــر ما حلـــت بـــواديكم
ولـــولا الحنطـــة الســـمرا ء مـــا ســـمنت عـــذاريكم

فتأمل أخي هذه الكلمات الطاهرة البريئة، وتأمل قوله صلى ا عليه وسلم: ((فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟)) تأمل هـذا

(15) أخرجه البخاري (5590) .

(16) رواه البخاري (5162).

وقارنه بما يحدق في مجتمعاتنا اليوم حيث تخنق البـراءة وتـذبح الفضيلة، ثم اعلم أننا موقوفون غدًا بين يدي ا -عز وجل- وأننا مسئولون فأعد لكل سؤالٍ جوابًا، ولكل جوابٍ صوابًا.

تهانينا إسلامية

ديننا الإسلامي حث على الحفاظ على روابط الأخوة والمودة بـين أفراد المجتمع المسلم، وقد سن لنا نبينا تهنئة المتزوج ومشـاركته في فرحته، وإجابة دعوته، ولكن كيف تكون تلك التهنئة التي تحقق لنا تبعيتنا لنبينا محمد صلى ا عليه وسلم ومن ثم حب ا لنا، إن المسلم في حياته كلها متبع لسنة رسول ا صلى ا عليـه وسـلم لأنه محب ، فمن محبة ا محبة نبيه صـلى ا عليـه وسـلم، ومحبة سنته واتباعها. عن أبي هريرة –رضي ا عنه- أن النبـي صلى ا عليه وسلم كان إذا تزوج الإنسان قال له: ((بارك ا لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في الخير))[17]. فتلـك هـي تهنئتنـا للمتزوج التي علمناها رسول ا صلى ا عليه وسلم، وعليه فيجب علينا أن نجتنب تهاني الجاهلية، فإن للمسـلم شخصـيته المتميـزة الطالبة لمرضاة ا المتبعة لسنة رسول ا صلى ا عليه وسـلم، قال ابن القيم: ((وكانت الجاهلية يقولون في تهنئتهم بالنكاح: بالرفاء

(17) أخرجه الترمذي (1091)، وأبو داود (2130) وابن ماجه (1905).

والبنين، والرفاء الالتحام والاتفاق، أي تزوجت زواجًا يحصل به الاتفاق والالتحام بينكما، والبنون فيهنئون سلفًا وتعجيلاً؛ ولا ينبغي للرجل أن يهنئ بالابن ولا يهنئ بالبنت، بل يهنئ بهما أو يترك التهنئة بهما؛ ليتخلص من سيئة الجاهلية، فإن كثيرًا منهم كانوا يهنئون بالابن وبوفاة البنت دون ولادتها))[18].

لا لمعصية ا

إن ا تعالى خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه، ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة الدالة على كبريائه ليهابوه، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه... ليسارعوا إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه.

وإن المتأمل لأحوال الناس اليوم يجد البعض منهم عمدوا إلى محارم ا فارتكبوها، ومنهياته فاستباحوها، ومأموراته فاجتنبوها ونبذوها، وقطعوا الأسباب بينهم وبين خالقهم ورازقهم ثم عادوا بمر الشكوى من تغير الأحوال والأزمان، وانتزاع البركة من الأرزاق والآجال، وهم مع ذلك معتمدون على رحمة ا وعفوه وكرمه، ونسوا أن ا تعالى يغار على أوامره أن تجتنب ومحارمه أن ترتكب، وأنه تعالى شديد العقاب لا يرد بأسه عن القوم

(18) تحفة المودود – لابن القيم ص(30).

المجرمين، وهو الذي توعد عباده الذين يخالفون أمره، ويعرضون عن مراقبته، وينصرفون عن عبادته وذكـره، ويجترئـون علـى معاصيه، وقد حذرهم سبحانه بأسه وانتقامه.

فالذنوب –أخي الكريم- حجاب عن ا –عز وجل- وهي تـورث الذل والهوان على ا أولاً، ثم على الخلق ثانيًا. قال ابن القـيم –رحمه ا -: ((إن مما ينبغي أن يعلم، أن الذنوب والمعاصي تضر، ولابد أن ضررها كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهـل فـي الـدنيا شـر وداء إلا بسـبب الـذنوب والمعاصي)).

فاحذر يا أخي أن يدخل عليك في عرسك منها شيء، وكذلك الأمر في بيتك وحياتك كلها، وصور المعاصي في أعراسنا اليوم كثيرة: من معازف، أو اختلاط، أو تبرج أو غير ذلك مما يغضب العلـي الكبير سبحانه وتعالى، فاجتنب ذلك كله، وتذكر معي قول من قال:

إذا كنت في نعمةٍ فارعها
فإن الذنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد
فرب العباد سريع النقم

لا إله إلا ا منهج حياة

أخي .. أختاه .. إن ما أنتما مقبلان عليه من تكوين أسرة صغيرة يجب أن تكون هذه الأسرة ناشئة في ظلال منهج ا ، سائرة على هدي رسول ا صلى ا عليه وسلم، يجب أن تكون هذه الأسرة لبنة في مجتمع شعاره العبودية –عز وجل- فإليك معالم هذه العبودية، وإليك أهم سمات ذلك المجتمع الرباني الذي نسعى لإحيائه لتكون هذه المعالم وتلك السمات نصب الأعين الراغبة ولتحقيقها هدفًا في الحياة.

لم تكن حياة المسلم يومًا ما شهوة يقضيها ثم ينتهي الأمر ويقف عند هذا الحد، إنما المسلم يحقق عبوديته لربه في كل دخائل حياته، ما دق فيها، وما جل، والأخ والأخت المقبلان علىالزواج، إنما يسعيان لتكوين أسرة تعرف كيف تحقق عبوديتها في هذا الشأن، الذي هو من أهم مراحل حياة المسلم، فالزواج –عند المسلم- معناه تكوين أسرة مسلمة صغيرة يعلم طرفاها أن هذه الأسرة الناشئة هي لبنة في مجتمع .

إن العبودية وحده هي شطر الركن الأول في العقيدة الإسلامية المتمثل في شهادة أن لا إله إلا ا ، والتلقي عن رسول ا –صلى ا عليه وسلم- في كيفية هذه العبودية، هو شطرها الثاني المتمثل في شهادة أن محمدًا رسول ا .

والقلب المؤمن المسلم هو الذي تتمثل فيه هذه القاعدة بشطريها؛ لأن كل ما بعدهما من مقومات الإيمان وأركان الإسلام، إنما هو مقتضى لها؛ فالإيمان بملائكة ا ، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وكذلك الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، ثم

الحدود والتعازير، والحل والحرمـة، والمعـاملات والتشـريعات والتوجيهات الإسلامية .... إنما تقوم كلها على قاعدة العبوديـة
وحده، كما أن المرجع فيها كلها هو ما بلغه لنا رسول ا صلى ا عليه وسلم عن ربه.

والمجتمع المسلم هو الذي تتمثل فيه تلك القاعدة ومقتضياتها جميعًا؛ لأنه بغير تمثل تلك القاعدة ومقتضياتها فيه لا يكون مجتمعًا مسلمًا.

ومن ثم تصبح شهادة أن لا إله إلا ا وأن محمدًا رسول ا ، قاعدة لمنهج كامل تقوم عليه حياة الأمة المسلمة بحذافيرها، فلا تقوم هذه الحياة قبل أن تقوم هذه القاعدة، كما أنها لا تكون حياة إسـلامية إذا قامت على غير هذه القاعدة، أو إذا قامت على قاعدة أخرى سواها قواعد أجنبية عنها، يقول تعالى:

{إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَـيِّمُ} [يوسـف: 40].

{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: 80].

هذا التقرير الموجز المطلق الحاسم يفيدنا في تحديد كلمة الفصل في قضايا أساسية في حقيقة هذا الدين، وفي حركته الواقعية كذلك:

* إنه يفيدنا –أولاً- في تحديد "طبيعة المجتمع المسلم".
* ويفيدنا -ثانيًا- في تحديد "منهج نشأة المجتمع المسلم"
* ويفيدنا -ثالثًا- في تحديد "منهج الإسلام في مواجهة المجتمعات الجاهلية".
* ويفيدنا –رابعًا- في تحديد "منهج الإسلام في مواجهة واقع الحياة البشرية".

وهي قضايا أساسية بالغة الخطورة.

إن السمة الأولى المميزة لطبيعة "المجتمع المسلم":

هي أن هذا المجتمع يقوم على قاعدة العبودية وحده في أمره كله... هذه العبودية التي تمثلها وتكيفها شهادة أن لا إله إلا ا ، وأن محمدًا رسول ا .

وتتمثل هذه العبودية في الجانب الاعتقادي، كما تتمثل في الشعائر التعبدية، وأيضًا في الشرائع القانونية سواء بسواء.

فليس عبدًا وحده من لا يعتقد بوحدانية ا سبحانه:

{وَقَالَ اللهُ لَا تَتخِذُوا إِلَهَيْن اثْنَيْن إِنمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيايَ فَارْهَبُون * وَلَهُ مَا فِي السمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللهِ تَتقُونَ} [النحل: 51، 52].

وليس عبدًا وحده من يتقدم بالشعائر التعبدية لأحدٍ غير ا –معه أو من دونه-:

{ قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَب الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَولُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162، 163].

وليس عبدًا وحده من يتلقى الشرائع القانونية من أحدٍ سوى ا .

{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدين مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ} [الشورى: 21].

{وَمَا آتَاكُمُ الرسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7]. .

هذا هو المجتمع المسلم، المجتمع الذي تتمثل العبودية وحده في معتقدات أفراده، كما تتمثل في شعائرهم وعباداتهم، كما تتمثل في نظامهم الجماعي وتشريعاتهم ...

أخي العزيز أختي العزيزة: هذه هـي أسـس "المجتمـع المسـلم" الخاضع ، المتعبد له سبحانه في كل صغيرة وكبيرة من جوانـب حياته.

وها هي عقيدته، وها هي عبادته، وها هي تشريعاته، فلنسع لإحياء هذا المجتمع ولتكن أسرتنا الجديدة لبنة من لبناته ولنمض على نورٍ من ا ، وعلى هدي رسول –صلى ا عليـه وسـلم- ولنعلنهـا صريحة "لا إله إلا ا منهج حياة" .